بسم الله الرحمن الرحيم

# منتدى الرواية

## المنصة الرقمية لمناقشة الروايات السودانية

الندوة رقم (4)

## مناقشة رواية آماليا للروائية مناهل فتحي

## بعض من جوانيّة النّص في رواية أماليا لمناهل فتحي

قراءة ثقافيّة/فتحيّة دبّش. تونس-فرنسا

يقول عبد الله الغذّامي: "ليست مهمّة النّقد الثقافي قراءة النّص قراءة جماليّة وإنّما مهمّته قراءة الأنساق وكشف عيوب الثّقافة."

اخترت في مستهلّ هذه الورقة النّقديّة أن أجلب إلى القارئ عبارة الغذّامي وهو مَن هو في النّقد الأدبيّ والنّقد الثّقافي ليتبين القارئ أن النّص-كلّ نصّ- ليس هو فقط بناء جماليّا وإنّما يتعلّل الكاتب بالبناء الجمالي ليكشف جملة من الأنساق الثّقافية التي تحتاج إلى ذكاء الدّارس لفكّ ذكاء النّص. وتعمّدت العبارة أيضا حتى يدرك القارئ وهو يصطدم بعبارة النّقد الثّقافي أنّه من العبث انتظار قراءة جماليّة في ورقة نقديّة ثقافية. لذلك فليس من واجب ورقتي هذه أن تبيّن الخصائص الجماليّة لرواية مناهل فتحي ولكنّه من واجبها أن تطرح جملة من الأبنية كشف عنها النّص تصريحا وتلميحا دون الادعاء بشموليّة هذه الوقفة وإحاطتها بكلّ الانساق في الرّواية.

وعلية فقد اخترت أن أقف على ثلاثة أنساق ثقافيّة هي التّالية: الكتابة تثوير للواقع، اللّغة كائن متجوّل، الانثى أزمة ذات.

<u>الكتابة تثوير للواقع:</u>

غالبا ما تعترض القارئ عبارة الجاحظ "الأفكار مطروحة على قارعة الطّريق". هذه المقولة و إن كانت من الأهميّة بمكان بحيث تدلّل على أنّ النّص الأدبي بناء ومضمونا إلاّ أنّها تجعل من المضمون هامشا بلا خصوصيّة و تحدّد الخصوصيّة في الشّكل وحسب ومن ثمّ اهتمام الأصوات النّقديّة الأدبيّة بجماليّات البناء واعتبار المضمون ثانويّا وهو ما يفسّر قلّة الأصوات النّقديّة الثّقافيّة مقابل الأصوات النّقديّة الأدبيّة.

ورغم أنّ النّقد الأدبي لم يهمل قراءة المضامين إلاّ أنّه يضعها دائما في موضع الانساق الثقافية التي تروم الاستمرار. فنجد أن المدوّنة الأدبيّة تحتفل بكلّ قيم الكرم والبطولة والعفّة وإعلاء صوت المجتمع والسّلم السّياسي والاجتماعي الخ... فكانت النّصوص شعرا ونثرا لا تقوّض الأنساق بقدر ما تكرّسها.

غير أنّ هذه الكتابة المكرِّسة للأنساق ما فتئت تتوزّع المسافة بينها وبين القارئ، الذي يروم بفعل التّرجمة و الانفتاح على الغير أن ينظر إلى أنساقه من تحت المجهر فيقدّمها للنّقد والتّفكيك لفرز القابل للبقاء وتقويض القابل للتقويض. وهو ما تتّجه نحوه الكتابات المعاصرة. هذا التّوجّه يعد تثوير للواقع و مساءلته. وليس معنى ذلك أنّ النّصّ هو المقروء من خارجه وإنّما قراءة ما هو خارج النّص بالنّص ذاته. وهو ما سعت إليه مناهل فتحي في أماليا.

اللّغة كائن جوّال:

يقوم كلّ الخطاب على قنوات الخطاب وتعدّ اللّغة أسّها بما هي مكوّن مشترك وحامل ومحمول. رواية أماليا كشفت بلغتها السّهلة بل الأقرب إلى التّلقائيّة منها إلى لغة الاختصاصات عن ترافد اللّغات في النّصّ الواحد حيث تتجاور العربيّة (فصحى ولهجات) مع لغات أجنبيّة كالانقليزية. هذا التّرافد كان صنو التّغريب اللّغوي و الهويّاتي وأصبح اليوم يعبّر عن نسق ثقافيّ تنفتح فيه اللّغة على اللّغة وتصبح كائنا جوّالا ليست غايته الدّوران حول الذّات و صيانتها من التّخريب وإنّما غايته الانفتاح على الآخر وتقديم صورة عن انسان اليوم الذي يروم الخلاص من قوقعته فينخرط في حرب ضدّ نفسه وضد ثوابته.

لكنّه مقابل اللّغة هناك الإنسان/المواطن بالمفهوم السياسي. وحين تكون اللّغة كائنا جوّالا كما جسّدتها اللّوحة " لوحة للحريّة والعدل للرّقة والجمال، للقوّة و التّحدّي و..." ص 88، فإنّ الـ"مواطن" كائن وطني يعود في نهاية الأمر من تجواله إلى نقطة الثّبات/الوطن ولا يبق له من جناح غير اللّغة. و قد تجسّد ذلك في شخصيّة خالد فكان لغة جوّالة ومواطنا ثابتا رغم بؤس الثّبات الذي كان يبحث عنه " أبحث عن الوطن الذي عدت من أجله ولم أجده" ص89.

الأنثى، أزمة الذّات:

تزخر الرّواية بالشّخصيّات الأنثويّة وتتوزّع على أجيال ثلاثة: الجدّة، الأمّ، الحفيدة. هذه الشّخصيّات مثّلت أبنية الامتداد وأبنية الانحسار.

تمثّلت أبنية الامتداد في صوت الجدّة باعتبارها لسان جيل من النّساء يسعى إلى المحافظة على الأنساق الثقافيّة الذّكوريّة فهي لم تتوار خلف اللّغة لتعلن عن هذا

النّسق المهيمن وغير القابل للنّقاش على الأقلّ من وجهة نظرها. تقول في مواضع متعدّدة من الرواية ما يلي:

"صاح إنت بنيّة لكن بنيّة راجل ما ساهل "ص 34

" تنحبس عندنا، هو الحبس شنو غير أربعة حيطان، ربنا ما قال لازم تنحبس في الهلاليّة." ص26

أما في صوت الأمّ فنقرأ ابنية الامتداد ولكنّها أبنية متداعية نحو الانحسار المأمول الذي لن يقع، يغلب عليها الصّمت الذي يتحوّل إلى صوت كاشف للرّفض. وهذا الرّفض هو رفض للتّعليب الذي تعيشه تحت حكم "القبيلة": "أمي التي اكتفت بأن أحاطت كتفي بذراعيها وسألتني قبل أن تنشغل بتلقّي التهنئات: موجوعة حبيبتي؟" ص13

صوت الأمّ يغلب عليه الصّمت. صمت يتراوح بين الرّفض و التّسليم و يقيم شاهدا على عذابات النّساء وهنّ يتقدّمن في الحياة بلا ذوات، ليس لهن من الحياة غير تنفيذ ما به تستمر الأنساق الثقافيّة والموروث الذي هو دينيّ في الظّاهر قبَليّ في الباطن.

ثم يأتي صوت الحفيدة الذي بدأ شديد الصّرامة وانتهى شديد الانكسار. كان تطوّر الموقف الفكري عكس الموقف النّفسي وعكس حتّى ما كان القارئ يرجوه منها. بدأت بالثّورة على الله و على المجتمع وعلى أمّها وعلى جسدها الصّغير وهو ينتهك بحجّة النّقاء (ص8) وانتهت متقوقعة في جسد امرأة منطفئة بلا خصوبة ترزح تحت روح معلّقة برجل سواء كان أبا أو زوجا: «منساقة إليه دون إرادتي ربما لأنسى فجيعتي بك." (ص77). لكنّها على عكس الصّوتين الأوّلين واعية بواقع الأنثى وبأسيجتها الذّاتيّة والموضوعيّة، ذلك أنّ المرأة: " تبلغ شقاءها مع أوّل قطرة لأنوثة يزداد ثمنها مع السّنوات. سنوات من الهشاشة وادّعاء عكسها." (ص 77).

فالأصوات وإن كانت تنتمي إلى حقل المعاناة نفسه إلّا أنّ استعداداتها النّفسيّة وإن اختلفت فقد بقيت رهينة الصّمت. صمت سوف تكسّره مناهل فتحي بوضعها هذا النّسق الثّقافي محلّ مساءلة بل محلّ إدانة. هذا النّسق الذي لا يرى الأنثى غير كائن مدنّس وجب ردّه إلى القداسة الضّائعة بالختان وبالتشليخ وغيرها من

الممارسات. فالأنثى جسد خلقه الله مسكونا بالغواية والدّنس مما يقتضي تدخّل الرّجل/المخلوق ليصلح ما أفسده الرّبّ ويطهّر هذا الجسد لعلّه يصلح.

## خاتمة:

إن رواية اماليا لمناهل فتحي تسكن قلب الأدب الملتزم بقضايا الرّاهن. أقول ذلك دون أن أردّد رجع القول بانتمائها للرّواية النّسوية وأناقض رؤيتي التي تقول إنّ الأدب إنساني و ليس جندريّا. فالنّضال والالتزام بقضايا المجتمع وطرحها للنّقاش عارية يؤكّد مرّة أخرى أنّ حركات التّحرر لا يمكن أن تعلو بدون الوعي المركّب ذاتيّا وموضوعيّا وهو ما لا تدحضه الرّواية الماثلة قيد النقاش.